الفصل الأول

وضع علم الترجمة: تحديد المجال
SITUATION DE LA TRADUCTION: DÉLIMITATION DU CHAMP

لقد ظهر المجال العلمي الذي يعتبر الترجمة موضوع دراسته في النصف الثاني من القرن العشرين، بيد أن عدة أسماء عابرة أطلقت عليه (science de la traduction، وtranslatologie، ...إلخ.) قبل أن يصبح traductologie (علم الترجمة) في الفرنسية، وtranslation studies (دراسات الترجمة)[1] في الإنجليزية.

لقد حدد جيمس هولمز James Holmes (١٩٧٢) المجال الذي يدرسه علم الترجمة تحديدا دقيقا للمرة الأولى في مقال بعنوان "اسم دراسات الترجمة وطبيعتها"[2]، يميز هولمز في مقاله فرعين أساسيين: "علم الترجمة النظري" و"علم الترجمة التطبيقي". إن موضوع الأول (النظري) وصف ظواهر الترجمة، وتعريف مبادئ تفسيرية، والتنظير للممارسات الترجمية، وإن هدف الثاني (التطبيقي)

---

(١) (ما يتعلق بالترجمة من دراسات وبحوث تتناول الجوانب النظرية والتطبيقية لهذا الموضوع، وما يرتبط به من الميادين الدراسية الأخرى ذات الصلة مثل اللسانيات، والبراغماتية، والحضارة، وتكنولوجيا المعلومات، إلخ. المترجم).

(٢) ("The Name and Nature of Translation Studies". المترجم).

استخدام مبادئ ونظريات من أجل تأهيل المترجمين، وتطوير الوسائل المساعدة على الترجمة أو أيضاً نقد الترجمات.

يرى هولمز أن العلاقة بين هذين الفرعين جدلية، وأنه لا ينبغي في جميع الأحوال إدراكهما بصورة حصرية أو أحادية الاتجاه، والحقيقة أن علم الترجمة النظري يثري التطبيقات العملية، وأن علم الترجمة التطبيقي يساعد على إثراء التأمل النظري، وقد تم وضعهما في المستوى نفسه، ولذلك ينبغي أن نولي كلا منهما الاهتمام نفسه: لم يحدد هولمز في مقاله موضوعا وحيدا للدراسة، ونظر في دراسة المنتج (النص المترجم) وفي دراسة العملية (سياق عملية الترجمة déroulement) على حد سواء. ويعتبر هولمز أن الدراسة الترجمية يمكن أن تكون"عامة فتشمل مجمل المجال العلمي، أو "محدودة" فتقتصر على بعض المجالات، والأنماط النصية، والمشكلات الخاصة أو العصور التاريخية. والأمر الجوهري هو أن الاهتمام الأساسي ينصب على "الترجمة"، وليس -على سبيل المثال- على اللغة، و"الكلام"، و"علم النفس"، و"علم الاجتماع"، أو حتى "التكنولوجيا"، حتى وإن بدت هذه الجوانب مهمة في المنتج أو في عملية الترجمة. فكل شيء مسألة تبئير focalisation، ووجهة نظر.

لقد اضطر علم الترجمة لإيجاد موطئ قدم له بين المجالات العلمية الأخرى التي كانت تتنافس على موضوع دراسته. وهكذا، تم النظر إلى الترجمة بالتناوب على أنها فرع من اللسانيات التقابلية، واللسانيات التطبيقية، واللسانيات النصية، واللسانيات النفسية، أو أيضا شكل من التواصل متعدد اللغات أو من التواصل بين الثقافات؛ دون إغفال المقاربات الأدبية أو الفلسفية أو الأنتروبولوجية التي أتاحت الترجمة الفرصة لها على مر الزمن.

وباختصار، لقد تم تناول الترجمة من زوايا عديدة، ولكن أي منظور دراسي لم يستوف موضوعها ولا إشكالياتها، ولهذا فقد تطورت باتجاه علم مستقل، ومتعدد المجالات في جوهره. ويشكل علم الترجمة اليوم مجالا بحثيا واسعا ومفتوحا، ولكنه يعالج مسائل خاصة ومفاهيم توافق موضوعه متغير الشكل. وينبغي عدم النظر إلى اقتراض المفاهيم والمناهج من المجالات العلمية الأخرى على أنه تناقض، وإنما على أنه تكامل، لأن كل مقاربة توضح في الواقع جانبا خاصا من جوانب الترجمة.

وهكذا، يتطلب علم الترجمة تساؤلا حول أسسه وشروط شرعيته. وإن هذه المقاربة الإبيستمولوجية تأمل نقدي يتعلق بتطور فكر جميع المهتمين بالنشاط الترجمي ومناهجهم.

الأسئلة المطروحة نوعان: إلى أي مدى يمكن أن يكون علم الترجمة مجالا علميا مستقلا؟ ماذا يمكن أن يكون، وماذا ينبغي أن يكون علم الترجمة؟ إنه لمن الصعب الإجابة عن هذه الأسئلة لأن المؤلفات التي تتناول التأمل الإبيستمولوجي تناولا مباشرا قليلة.

يعني اعتبار علم الترجمة مجالا علميا تحديد الصفات المشتركة مع المجالات العلمية الأخرى، وأيضاً الخصوصيات التي تميزه عن المجالات العلمية مشتركة الملامح. والحال أننا نلاحظ أن التسمية "علم الترجمة" في المؤلفات النظرية المتعلقة بقضايا الترجمة وبدراسة الحالات التجريبية تشمل مفاهيم وممارسات متنوعة جدا، وأن هذا التنوع يؤثر في تحديد موضوع الدراسة، وفي مناهج العمل.

إنه لمن المفيد، إجمالاً، تناول علم الترجمة أولا في إطار إبيستمولوجيا عامة قبل النظر في إبيستمولوجيا خاصة به، لأن ذلك يساعد على تحديد مكانته بين المجالات العلمية الأخرى.

(١) إبيستمولوجيا عامة

يُصنف علم الترجمة تقليديا ضمن العلوم الإنسانية، ويُعتبر علما لغويا غالباً، ومع ذلك، هناك دراسات تبحث عن مبادئ عامة قابلة للتطبيق على كل أنماط النصوص، بل عن "نظريات للترجمة" (Ladmiral 1994). وتقترض بعض الدراسات مسلماتها ومناهجها من علم الأعصاب، وتهدف إلى إلحاق الترجمة بالعلوم الطبيعية بتركيز البحث على الكائن البشري.

والحقيقة أنه تم تأكيد تداخل المجالات العلمية في علم الترجمة والبرهنة عليه عدة مرات (Gile 2005: 258)[٣]. وفضلا عن ذلك، يُعد تحديد موقع علم الترجمة على خارطة العلوم الإنسانية خيارا تترتب عليه نتائج على مستوى الأهداف المنشودة والمناهج المستخدمة على حد سواء. وينبغي على علم الترجمة، بوصفه "علم الإنسان"، أن يأخذ بعين الاعتبار عوامل خارجية لا تتعلق بالمعنى الدقيق بموضوع الترجمة الملموس والمحدود بوصفه منتجا (النص). وينبغي عليه دائما أن يعتبر السياق، أي الظواهر التاريخية، والاجتماعية، والنفسية، والسياسية التي تحدد النشاط الترجمي، فهناك من وجهة النظر هذه علم ترجمة اجتماعي، وعلم ترجمة نفسي تقوم عليهما كل دراسة حول الترجمة.

بيد أن بعض الدراسات الترجمية تقوم أيضا بتقعيد استنباط المعطيات ونمذجتها باستخدام صيغ تعادل وأحيانا معطيات إحصائية من أجل معالجتها. ألم تكن الترجمة الآلية في الخمسينيات أصل المعالجة الآلية للغةTAL؟[٤] أليست كل برمجيات الترجمة

---

(٣) (قام مترجم هذا الكتاب بترجمة كتاب دانييل جيل *La traduction. La comprendre, l'apprendre* تحت عنوان: *الترجمة فهمها وتعلمها*. جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. المترجم).

(٤) (Traitement Automatique du Langage. المترجم).

بمساعدة الحاسوب برهانا على "علمية" الترجمة؟ إن أي مجال آخر من مجالات علوم اللغة ليس في مثل تقدم الترجمة في التآلية[٥]. ويكفي أن نتصفح بسرعة قائمة الأدوات المعلوماتية المتوفرة في السوق للاقتناع برغبة الباحثين في إضفاء صرامة الرياضيات والمنطق على المجال العلمي الترجمي.

وهكذا، يمكن أن يكون هناك علم ترجمة داخلي يهتم بعملية الترجمة فقط وعلم ترجمة خارجي يهتم بالترجمة بوصفها نتيجة عوامل سياسية، وتاريخية، واجتماعية أو عوامل أخرى. ولكن الأمر يتعلق في الحالتين بعلم ترجمة منفتح على المؤثرات وعلى المنجزات العلمية البشرية والاجتماعية، ويمثل ذلك الخطوط القوية والفاصلة في المجال العلمي الترجمي.

مجال علمي متعدد الاتجاهات

إن علم الترجمة متداخل المجالات العلمية في جوهره؛ لأنه يسعى إلى فهم مجمل الظاهرة الترجمية، وليس غريبا أن يحتاج للعديد من الوسائل البحثية التي يقترضها من المجالات العلمية الأخرى ليفهم مجمل موضوعه بالإضافة إلى أنه متغير الشكل والنوع.

تكمن نوعية علم الترجمة في التجريب: لقد مارس الإنسان الترجمة في جميع الأزمنة، إلا أنه لم ينظّر لها دائماً. وقد ترجم أيضا بنسب لا سبيل إلى مقارنتها مع تأمله في الترجمة. ينتج عن ذلك أن علم الترجمة يقوم اليوم قبل كل شيء على التجريب، أي على الممارسة الترجمية، وعلى ملاحظة وقائع ترجمية. وقد حصل على استقلاله بالاهتمام أولا بالظواهر الترجمية التي يمكن ملاحظتها من خلال نصوص مترجمة، ومواد نصية، ومنتجات مؤكدة (Toury 1995). وينبغي هنا إعادة وضع المقاربات الفرضية prescriptive للترجمة التي تهدف إلى إخضاع المترجمين إلى

---

(٥) (تعني التآلية automisation إحلال الآلة محل الإنسان. المترجم)

معيار أو قاعدة مقررة سلفا في سياقها التاريخي والتعليمي. وهي مقاربات قديمة وتم تجاوزها على نطاق واسع.

وتحاول الترجمة - بوصفها مجالاً علمياً تجريبياً ووصفياً، وانطلاقاً من الملاحظة- تحديد مبادئ وظواهر متكررة في النشاط الترجمي. وتشكل مجموعة المبادئ والظواهر المنظمة التي تم تحديدها نظرية في الترجمة. فنظرية "المعنى-النص" التي وضعتها مدرسة باريس مثال موضح لذلك.

إن وضع إطار نظري خاص بعلم الترجمة، كما في كل مجال علمي، يمر عبر ثلاث مراحل: الملاحظة، والفرضية، والتحقق من صحة الفرضية.

١- تقوم الملاحظة على فحص مفصل لوقائع الترجمة، وهذه الملاحظة مبنية وموجهة جزئياً؛ لأنها تخضع لإدراك الملاحظ؛ فلا يمكن إهمال بعض مكونات الملاحظة الترجمية: الكفاءة اللغوية الضرورية، ودرجة ثقافة الفرد، والقيود المؤسساتية، إلخ. وإنه لمن الحكمة ألا يقوم الملاحظ بملاحظة أعماله الترجمية الخاصة تلافيا لمزيد من التعقيد في هذه المرحلة، وبهدف الفصل منهجيا بين الملاحظ والموضوع الذي يلاحظه.

٢- تقوم الفرضية على اقتراح مبدأ أو قاعدة تفسيرية انطلاقا من مجمل الملاحظات المسجلة. وتعمل وفق استقراء ينطلق من الخاص (دراسة حالة) إلى العام (الترجمة في مجملها). ولا جرم أن الاستقراء ينطوي من وجهة نظر منطقية على بعض الصعوبات، ولكنه الطريقة الوحيدة التي تساعد على الانتقال من عدد كبير من الملاحظات إلى مبدأ عام. ويبقى أن الفرضية التي يضعها عالم الترجمة تتطلب أحيانا اللجوء إلى التجريب من أجل التحقق من صحتها.

٣- يساعد التحقق من صحة الفرضية على تأكيدها: يمكن أن تصبح الفرضية قاعدة أو قانونا إن لم يتم دحضها. ولكن التحقق من صحة الفرضية يتطلب تنقلا مستمرا بين النظرية والممارسة الترجمية. وهذا أمر خاص بالمنهج التجريبي- الاستنتاجي.

لقد لاحظنا خلال القرن العشرين إفراطا في التجريد والتنظير جعل المترجمين الممارسين يحذرون علم الترجمة. والحال أن الإعداد العلمي لنظرية معينة مشروط بمراعاة بعض الإجراءات. ينبغي - حتى تكون الدراسة الترجمية مفيدة ومقبولة لدى المترجمين الممارسين — أن تحقق بعض المبادئ:

١- **مبدأ التماسك:** ينبغي ألا تنطوي الدراسة على تناقض داخلي.

٢- **مبدأ الشمولية:** ينبغي أن تشرح الدراسة أكبر عدد من وقائع الترجمة، وذلك بعرض أكبر عدد من الأمثلة المناسبة.

٣- **مبدأ البساطة:** ينبغي أن تقلل الدراسة ما أمكن من استخدام المسلمات axiomes والمفاهيم.

٤- **مبدأ التوقع prédictibilité:** ينبغي أن تساعد الدراسة على توقع صحة ترجمة جديدة أو حلول أخرى غير الحلول المقترحة.

تقوم هذه المبادئ على إبيستمولوجيا عامة، ويعتبر قسم كبير منها قابلا للتطبيق في علم الترجمة. ولكن للترجمة خصوصيات تستدعي أيضا إبيستمولوجيا خاصة.

إن مرحلة التحقق من الفرضيات المشار إليها آنفا تكتسب طابعا خاصا في علم الترجمة، وليس من الضروري تصورها بعبارة التجريب (تكرار التجربة نفسها في عدة سياقات)، ولكنها تأخذ بالأحرى شكل شرح بالأمثلة (تقديم عدة أمثلة لشرح الظاهرة نفسها). ومع ذلك، ينبغي ملاحظة أن المثال لا يمثل برهانا؛ إذ أنه يقوم بدور اختبار صحة الفرضية. وبعبارة أخرى، لا تفيد الأمثلة التي يتم اختيارها في قول:

كيف ينبغي أن نترجم (المقاربة المعيارية)، وإنما في التحقق من أن الترجمة التي تم تصورها صحيحة أو غير صحيحة.

يبدو الشرح بالأمثلة إشكاليا إذن، لأنه يستوجب خياراً: كيف ينبغي اختيار الأمثلة وبناؤها؟ إننا نعلم أنه ينبغي أن تكون الأمثلة مؤكدة (ترجمات منشورة، وتسجيلات مهنية، إلخ.)، ولكن أين يمكن أن نجد هذه الوقائع الترجمية المؤكدة، وكيف نجمع المواد اللغوية لدراسة الترجمات؟ إن كل شيء يرتبط في الحقيقة بالهدف الذي نضعه للدراسة.

ثمة مسألة إشكالية أخرى: ما المعايير التي يمكن أن نحكم من خلالها على ترجمة معينة أنها مقبولة أو غير مقبولة؟ إن مسألة نقد جودة الترجمات وتقويمها معقدة، وأدت إلى العديد من الدراسات (House 1997).

ما هو علم الترجمة ؟

تعني كلمة traductologie حرفيا علم *logos* وترجمة *traducto*. ويلفت غارنييه (Garnier 1985: 13) الانتباه إلى مسألة التسمية: "التسميات الإجمالية التي تطلق على الدراسات التي موضوعها الترجمة متنوعة: إضافة إلى نظرية الترجمة théorie de la traduction، نجد أيضا التسمية science de la traduction أو أيضا traductologie (علم الترجمة).

ولعله من المفيد تحديد أن علم الترجمةscience de la traduction هو المعادل المقبول عامة للمصطلح الإنجليزي "دراسات الترجمة" Translation Studies، الذي يشير إلى مجال دراسات الترجمة الواسع في العالم الأنجلوسكسوني. وترى باسنيت (Bassnett 1980: 2) — تأكيدا لمقترحات أندريه لوفيفر André Lefevere— أن علم الترجمة (Translation Studies الترجمة دراسات) هو دراسة إنتاج الترجمات ووصفها.

إن علم الترجمة في الواقع هو المجال العلمي الذي يدرس نظرية الترجمة بجميع أشكالها وممارستها في آن معا، أي الترجمة الشفهية وغير الشفهية. وإن اعتبرنا مختلف تجليات الترجمة موضوعا للدراسة، فيجدر دراسة الجوانب الترجمية بالمعنى الدقيق والجوانب غير الترجمية على حد سواء: الجوانب الترجمية الخارجية، والهامشية، والواصفة: ينبغي أن يوضح تعريف وضع علم الترجمة كيف سيحصل هذا العلم الجديد على استقلاله وخصوصيته بعد تجاوز هذه الشبكة من الارتباطات" (Garnier 1985: 28).

وهكذا، إن موضوع علم الترجمة هو دراسة الترجمة في كل تجلياتها. وسواء تعلق الأمر بالترجمة التحريرية أم بالترجمة الشفهية، وبالترجمة العامة أم بالترجمة المتخصصة، فإن عالم الترجمة يتأمل في كل أشكال تدخل المترجم. وحتى لو تم التأمل في "نظرية الترجمة" حتى الآن باعتبارها فرعا من علم الترجمة، فإنها تتداخل في الواقع مع ممارسة المترجم.

تقوم مقبولية ترجمة معينة في جميع الأحوال وفي الوقت نفسه على حكم المترجمين، وعلى تطبيق مجموعة من المبادئ التي تشكل جزءا من العالم المرجعي لهؤلاء المترجمين الذي ينبغي على علماء الترجمة تحديده ووصفه.

وإذا كان من الثابت اليوم أن الدراسة الترجمية ذات طبيعة وصفية وليست فرضية، فإن ذلك لا يعني أن ممارسة النشاط الترجمي لا تخضع لقواعد ومعايير، ويمكن مراعاة هذه القواعد والمعايير شعوريا أو استبطانها لا شعوريا، لكنها موجودة دائما تبعا لسياقات الترجمة وغاياتها. ومن هنا كانت فائدة تأمل إبيستمولوجي خاص بالمجال العلمي الترجمي.

(٢) إبيستمولوجيا المجال العلمي

لقد تمت مناقشة خصوصية علم الترجمة واستقلاله مناقشة مستفيضة طوال النصف الثاني من القرن العشرين. ينتقد برنييه (Pergnier 1978: 5) على سبيل المثال المقاربات الموجودة: " إن الذين يدعون تأسيس علم الترجمة لا يفعلون معظم الوقت شيئا سوى دراسة الترجمة من وجهة نظر علم أكثر اتساعا واعتبارها تطبيقا لهذا العلم". ويخلص المؤلف إلى "أن أي علم للترجمة لم يعرض حتى أيامنا هذه مناهجه وموضوعه المحدد". وسبب ذلك برأيه أن هذا الموضوع "يقدمه ضمنيا تعريف حشوي نوعا ما" بحيث أن دراسة الترجمة توجد دائما حيث يتداخل مجال تطبيق عدة مجالات علمية".

يرى برنييه (Pergnier 1978:7) أن أكثر الأعمال أهمية - مثل أعمال فيني وداربلنت Vinay et Darbelnet، ومونان Mounin، وكاتفورد Catford - "هي في الواقع نظريات لغوية تطبق على فهم الصعوبات المرتبطة بكل فعل ترجمي أكثر منها "نظريات في علم الترجمة".

لقد اهتم شتاينر (Steiner 1975: 74-75) بحق بتوضيح هذه "النظريات في علم الترجمة"، فكتابه *بعد بابل After Babel* إسهام كبير في التأمل في أهمية الترجمة ودورها على مر التاريخ. وقد حلل تاريخ الترجمة هذا بعبارات أنظمة أحادية monadistes، وثنائية، وثلاثية، ورباعية: ويدافع شتاينر وفق هذا المنظور عن أدبيات ترجمة تدمج صرامة علمية تمر عبر مراجعة المصطلح الذي يستخدمه علماء الترجمة .

إن أصالة المسار التأويلي الذي يعرضه شتاينر في مؤلفه يتميز بوضوح عن سائر المؤلفات النظرية حول الترجمة: من الواضح أن شتاينر يشكل جزءا من قائمة قصيرة جدا تضم الذين أتوا بأمور أساسية ومجددة في الترجمة.

وينبغي التركيز، في اقتفاء أثر شتاينر، على نقطة غير معروفة: تعني الترجمة الآن ممارسة علم الترجمة شعوريا أحيانا، ولاشعوريا في أغلب الأوقات. تفترض الترجمة في الحقيقة حدا أدنى من الوعي الترجمي. توضح التجربة وجود تأمل ترجمي كامن ينظم عمل المترجم المتمرن، حتى في حالة التعلم "في مكان العمل". وهذا التأمل ليس دائما منظما في مفاهيم، ولكنه موجود. فمثال المترجمين الأكفاء الذين لم يتبعوا أدنى قدر من التعليم الترجمي يوضح ذلك بشكل كاف.

تفسر هذه الخصوصية الأهمية المشتركة للدراسات الترجمية والعلوم الإدراكية. وإن موضوع الدراسة (الترجمة) والوسيلة المستخدمة لإنجازها (المترجم) يختلطان في كلتا الحالتين، ويبقى المترجم صانع اللغة على الرغم من تعدد الوسائل المساعدة على الترجمة.

إن لهذه الحالة المستحدثة نتائج عملية: ينبغي على المترجم أن يستند إلى الاستدلال المنطقي لوصف نشاطه الترجمي الخاص به، انطلاقا من مسلمات وقواعد. وهذا هو الأساس الأول لاستقلال المجال العلمي الترجمي.

ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن يضطر علم الترجمة إلى قطع كل علاقة بالمجالات العلمية الأخرى، بهدف تأكيد استقلاله والمحافظة عليه. إن تنوع الحالات والممارسات يوضح ثراء المقاربات متداخلة المجالات العلمية الذي لا يمكن إنكاره، ولكن من الضروري تقديم بعض التوضيحات المتعلقة بهذا النمط من المقاربة.

عندما توضع خبرات البحوث الترجمية في خدمة مجالات علمية أخرى، فإن استقلال المجال العلمي يكون أقوى، إذ أننا في مجال علم الترجمة التطبيقي. وهذه على سبيل المثال حالة إسهام علم الترجمة في تعلم اللغات، وفي السياسات اللغوية، وفي الأدب المقارن أو أيضا في الاضطرابات اللغوية.

ولكن عندما يستخدم علم الترجمة خبرات المجالات العلمية الأخرى، فينبغي عليه ألا يندمج في فرع من فروع هذه المجالات.

من المفروض أن يؤدي النظر إلى الترجمة على أنها واقع عصبي ونفسي أو أيضا ظاهرة اجتماعية إلى "علم ترجمة نفسي" psycho-traductologie، وإلى "علم ترجمة عصبي" neuro-traductologie إلخ.، لاسيما إذا كان توجه الدراسات في هذه المجالات مدعوما ومنظما في مفاهيم بشكل كاف ليتيح المجال لتيار ترجمي حقيقي.

وهكذا نرى مدى تنوع مقاربات الترجمة والتوجهات المتباعدة أحيانا. ولهذا ينبغي التذكير بما يميز الفعل الترجمي تمييزا دقيقا.

موضوع علم الترجمة

إن موضوع علم الترجمة التأمل في الترجمة ذاتها(العملية) ولذاتها (النتاج). ينبغي أن نفهم أن المقصود من كلمة "ترجمة" سلسلة منظمة من العمليات لها مدخل (نص الانطلاق، أو النص الأصل أو النص المراد ترجمته)، ومخرج (نص الوصول، أو النص الهدف أو النص المترجم)، وفاعل رئيس (المترجم، المكيف، أو الوسيط).

إن وصف نتاج ترجمة معينة، يعني توضيح العناصر التي تكونه، ولكن أيضا أنه لا يقتصر عليها فقط. فتحليل عملية الترجمة يعني توضيح مختلف طرق عمل هذه العناصر وتنظيمها.

ولكن تعدد المظاهر المهنية يميل إلى جعل هذه العمليات أكثر تعقيدا مما تبدو عليه، فالترجمة تستأثر في الحقيقة بمجموعة من الاهتمامات، والمقاصد، والقيود، والتعليمات، والتوقعات، والوظائف، والتقنيات التي تتجاوز تجاوزا كبيرا إطار المسائل الترجمية البحتة.

ينبغي، في سبيل تماسك المجال العلمي ووحدته، التركيز على أربعة عناصر دراسية ترجمية لا يمكن الخلط بينها: الموضوع المراد ترجمته (الطلب)، والموضوع

المترجم (نتاج الترجمة)، والشخص المترجم (المنتج)، وعملية الترجمة (العملية).وسوف أفصل هذه العناصر بالطريقة التالية: إن علم الترجمة هو المجال العلمي الذي يحلل العلاقة بين هذه العناصر، ويصفها، ويُنظِّر لها.

نظريا، ثمة عدة أشكال للدراسة يمكن تصورها، وتشمل مختلف أنماط العلاقات بين العناصر (في الاتجاهين):

١- الطلب <---> نتاج الترجمة؛ الطلب <---> المنتج؛ الطلب <---> العملية.

٢- نتاج الترجمة <---> المنتج؛ نتاج الترجمة <---> العملية.

٣- المنتج <---> العملية.

ونظرا لتعدد هذه الأشكال ثنائية الاتجاه، ولتطورها، فإن منهج عالم الترجمة يقوم من جهة على البحث عن مجموعة من المعايير التي تقوم عليها وحدة النشاط الترجمي، ومن جهة أخرى على تصور النتاجات المتعددة للترجمة في تنوعها.

الموضوع المراد ترجمته

الموضوع المراد ترجمته محدد عامة في الأدب الترجمي بعبارات "نص الانطلاق" أو "النص-المصدر" أو أيضا "النص الأصل".

ورغم النقاشات العديدة حول المصطلح، فإن الموضوع المراد ترجمته يشير إلى الموضوع الأصلي المعد للترجمة، أي الطلب والمادة الأولية التي يقوم عليها عمل المترجم. ويمكن أن يكتسب طلب الترجمة أشكالا عديدة ومتنوعة: نصا مكتوبا، ومقالة صحفية، ورواية، وإعلانا، وموقع ويب site web، إلخ. ولكن التفكير فيه يتم عامة بعبارات الخصوصيات اللغوية والأسلوبية، ونادرا في إطار علاماتي متعدد. وهذا يُفسر جوهريا بحقيقة أن حجم "النصوص" يبقى مهيمنا في الممارسة، بالمقارنة مع وسائط الترجمة الأخرى.

يخضع الموضوع المعد للترجمة لمعالجات متتابعة، وفقا لأنماط التأويل الفردية وأحيانا الجماعية للوصول إلى النتاج النهائي. ولا جرم أن هناك قواعد تحليلية لفهم نص الانطلاق، ولكن قواعد تكييف النتاج ليست مضبوطة وموحدة دائما؛ إذ أنها تتعلق بالكفاءة، والشخصية، والقيود الخاصة بكل مترجم. وهكذا، ينظر للموضوع المراد ترجمته على أنه بناء إدراكي فريد، يستخدم قواعد يمكن توفيقها وتكرارها وفق الأفراد، ففكرة الموضوع بوصفه بناء معدلا[٦] construction modulée وديناميكيا تساعد على إنتاج عدد كبير من الترجمات المختلفة، والمقبولة مع ذلك.

الموضوع المترجم

يشار عامة إلى الموضوع المترجم في الأدب الترجمي بعبارة "نص الوصول" أو "النص الهدف"، ويقصد به النتاج النهائي أو نتيجة النشاط الترجمي.

---

(٦) (يتمثل التعديل modulation في التعديل أو التغيير الذي يلجأ إليه المترجم أثناء عملية الترجمة نتيجة لاختلاف وجهات النظر أو المنطلقات بين اللغة المصدر واللغة الهدف فيما يتعلق بالأساليب وطرائق التعبير. فقد يرى المترجم أن الترجمة الحرفية غير مستساغة أو تتناقض مع الذوق العام في اللغة التي ينقل إليها، ولذلك فإنه يعمد إلى أسلوب أو شكل آخر من أشكال التعبير قياسا على ما ينسجم وروح تلك اللغة، فجملة The eyes of watchers, trining in the ligt الإنجليزية تستخدم الفعل اللازم Tire بمعنى يتعب He tires easily، ويمكن ترجمة الجملة الأخيرة إلى الفرنسية بالجملة : Il se fatigue vite. ولكن، بعيدا عن السياق العام، يشير فعل se fatiguer بالأحرى إلى مفهوم الجهد، الأمر الذي يدعو إلى التعديل المظهري، إذ ينظر إلى استخدام فعل fatiguer اللازم في الفرنسية على أنه شائع أو محلي: J'ai les yeux qui fatiguent devant l'écran. ولهذا يفضل أن نقول: Les yeux des spectateurs éblouis par la lumière. وبالمثل يفضل أن نقول بالعربية : المشاهدون الذين أزعجهم النور. وينطبق الكلام السابق على عبارة He was armed to his teeth/ Il était armé jusqu'aux dents، التي تترجم حرفيا إلى: كان مسلحا حتى أسنانه. وينبغي لتكون أكثر قربا من العربية ترجمتها بعبارة: كان مدججا بالسلاح. المترجم).

ينظر للموضوع المترجم في عدد لا بأس به من الأعمال على أنه إمكانية، وهدف ينبغي إدراكه، ونص قادم. ولكن يبدو أن حجم النصوص المترجمة اليوم في معظم الأزواج اللغوية يجعل التأمل في الأمر عديم الجدوى. وإن التركيز على دراسة المادة اللغوية المكونة من النصوص المترجمة والمنشورة لاكتشاف مبادئها وأدواتها أكثر فائدة علميا وعمليا من تصور "النص الهدف" هذا تصورا مجردا، ويمكن بذلك أن نحصل على حجم مهم من المعطيات والوثائق المتعلقة بالنتيجة العملية للترجمة.

نظريا، النص المترجم (أو نص الوصول) يتقابل مع النص المراد ترجمته (نص الانطلاق) بوصفه تفعيلا فرديا وشخصيا (بالترجمة) لموضوع عام وغير شخصي (الطلب المعروض للترجمة).

عمليا، النص المترجم نتاج فردي يأخذ شكل محاولة فهم وإعادة صياغة بين لغتين، يمكن وصفها ومقارنتها بمحاولات ترجمة أخرى. إن مفهوم "المحاولة"، بالمعنى البليغ للكلمة، مهم هنا لأنه يساعد على ملاحظة اختلافات فردية في ترجمة النصوص نفسها.

الشخص المترجم

لقد اعتبر المترجم على التوالي "ناقلا" translateur مكلفا بمجرد نقل الكلمات من لغة لأخرى، و"مُكيفا" مسئولا عن تلبية توقعات الجمهور المستهدف، و"وسيطا" يقف في منتصف الطريق بين ثقافتين أو عالمين ليقرب بينهما، وأخيرا "تواصليا" مكلفا بتسهيل الحوار بين الأفراد أو المجتمعات المتباعدة.

ويبدو المترجم في جميع الحالات "مُدركا" على مستويين: من أجل ترجمة إدراك[٧] جمهور نص الانطلاق من جهة، ومن أجل ترجمة إدراك جمهور نص الوصول. يعكس هذا الإدراك معرفة المترجم بلغات عمله وثقافاته، لأن ترجمته تقوم لا شعوريا على عاداته اللغوية. إننا نترجم قبل كل شيء وفقا للمفردات والتصنيفات المتوفرة في لغتنا، ومن شبه المستحيل أن نترجم بتجرد مطلق، لأننا مجبرون على بعض صيغ التأويل في حين أننا نعتقد أننا أحرار في الترجمة على هوانا.

والمترجم موجود دائما في جوهر النظام: إنه مؤول interprétant لنص الانطلاق، ويختار المعنى المراد ترجمته، ويدير وحدات الترجمة، ويقرر الهدف والقصدية، وينتج النسخة المترجمة، ويمثل المتلقي الأول للترجمة، وأحيانا مستهلكها الأول، ويقوم بنشرها لدى الجمهور الهدف.

ما الترجمة؟

لقد دخل فعل "يترجم" traduire اللغة الفرنسية في القرن السادس عشر: "لقد أطلق الأنسي والمعجمي والمترجم روبير إيتيان Robert Etienne كلمة "يترجم" في عام ١٥٣٩م؛ وتابع إيتيان دوليه Etienne Dolet بعده ذلك بعام مستخدما كلمتي "ترجمة" traduction و"مترجم" traducteur (انظر: Cary 1963:6). إن أصل فعل يترجمtraduire ، كما يشرح لاروز (Larose 1989:3)، يعود إلى "فعل لاتيني قديم جدا وغير قياسي كانت صيغه في المصدر المضارع transferre، وفي اسم المفعول الماضي translatus". وأما كلمة interpres فكانت تعني المترجم في اللاتينية الدارجة،

(٧) (الإدراك perception مرحلة من مراحل الترجمة تأتي بعد قراءة النص الأصلي، وتسبق إعادة التعبير في اللغة الهدف. المترجم).

مثل كلمة drogman في الإيطالية سابقا (drogmanno). وأصل الكلمة الأخيرة من كلمة ترجمان turjumân العربية[٨]، وهي مأخوذة من كلمة ragamou الآشورية. وقد استخدمها موليير Molière فيما بعد بصيغة truchement.

---

(٨) (يقول ابن منظور في "ترجمان" (لسان العرب، مادة /ترجم/): "الترجمان، بالضم والفتح، : هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من إلى لغة أخرى، والجمع التَّراجم، والتاء والنون زائدتان ...". ويقول ابن منظور أيضاً في مادة/ رجم/ : "الرَّجْم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم ... والرَّجْم: القول بالظن والحدس ... وراجَمَ عن قومه: ناضلَ عنهم". ويقول ابن دريد (الجمهرة في اللغة، طبعة البعلبكي، مادة "رجم"، صفحة ٤٦٦ وما يليها): "ورَجَمَ الرجلُ بالغيب، إذا تكلم بما لا يعلم. وأَرْجَمَ الرجل عن قومه، إذا ناضل عنهم ... والمراجم: قبيح الكلام؛ تراجمَ القومُ بينهم بمراجمَ قبيحةٍ، أي بكلام قبيح."

وباستقراء الجذر /رجم/ في اللغات السامية يتبين أن معناه الأصلي "الكلام، المناداة، الصياح، القول الغريب، التواصل"، فكلمة "تُرْجمانٌ" في الأكادية - وهي أقدم اللغات السامية تدويناً - مشتقة فيها من الجذر /رجم/، والتاء والنون فيها زائدتان، أما في الأوغاريتية فيعني الجذر /رجم/ فيها "الكلام". ويوجد شبه إجماع بين دارسي الساميات أن الأوغاريتيين كانوا عرباً لأن أبجديتهم، بعكس أبجديات الساميين الشماليين الغربيين وهم الكنعانيون والآراميون والعبريون، تحتوي على كل الحروف الموجودة في العربية، ولأن مفردات لغتهم شديدة القرب من مفردات العربية بعكس لغات الكنعانيين والآراميين والعبريين.

والمعنى الغالب للجذر /رجم/ في العربية هو الرجم بالحجارة إلا أن أهل التفسير يقولون إن "الرجم" في هذا المقام هو السباب. فالرجيم هو "المشتوم المسبوب". ويفسرون قوله تعالى "لَئِن لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّك" أي "لأَسُبَّنَّك". وهذا يعني أن "الرجم" فعل لساني (أي كلام) وليس فعلاً يدوياً (أي رجم بالحجارة أو بغيرها). (إذاً: المعنى الاشتقاقي الأصلي للاسم /ترجمان/ وللفعل /ترجم/ هو "الكلام غير المحدد"! فهو "الصياح" في الأكادية و"الكلام والقول" في الأوغاريتية "والظن" في العربية (الرجم بالغيب) وكذلك "السب والشتم والتَّراجُم أي التراشق بالكلام القبيح". وعندي أن "الكلام غير المحدد" بقي "كلاماً غير محدد" حتى اليوم؛ لأن معنى "التُّرْجُمان" الأول هو المترجم الشفهي الذي يترجم كلاماً غير محددٍ سلفاً بين اثنين يتكلمان لغتين مختلفتين، وهو كذلك في الأكادية والعبرية والسريانية والعربية. إذاً معنى الترجمة الشفهية سابق لمعنى الترجمة التحريرية كما نرى وهذا ثابت في آثار الأكاديين والسريان والعبران والعرب كما يستشف من قول أبي الطيب المتنبي:

مَعَاني الشِّعرِ طِيباً في المَعَاني بمنزلةِ الربيعِ مِنَ الزَّمانِ
ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ
ملاعبُ جِنَّةٍ لو سارَ فيها سليمانُ لَسارَ بِتُرجمانِ

وقول الراجز:

ومَنْهَلٍ وَرَدتُهُ التِقاطا
لم أَلقَ، إذ وَرَدْتُه، فُرّاطا، =

إن سبب صعوبة إعطاء تعريف وحيد لعملية الترجمة تعدد أشكالها ومجالاتها التطبيقية، فكلمة "ترجمة"- وكذا الكلمات الأخرى المشتقة منها تحيل على وقائع متميزة وتطورية، مثل عملية الترجمة من الكتابي أو من الشفهي إلى لغة واحدة أو عدة لغات، انطلاقا من وسيط support ورقي أو إلكتروني، ومن دون الحاسوب أو بمساعدته، بطريقة دقيقة أو منتظمة، وللمتعة أو لهدف محدد، إلخ. إن كلمة "ترجمة" تعني في كل حالة مفهوما خاصا وممارسة نوعية: ترجمة مسرحية صورت سينمائيا، وتكييف موقع ويب أو رصد متعدد اللغات لأحد موضوعات الأحداث الجارية.

= إلا الحمامَ الوُرْقَ والغطاطا،
فَهُنَّ يُلفِطنَ به إلغاطا،
كالتُّرجمان لَقِيَ أنباطا!

وليس للكلمة اشتقاق واضح في العبرية والسريانية، وعليه فإني أرجح كونها دخيلة فيهما من الأكادية أو من الأوغاريتية. وعن الساميين أخذ اليونان كلمة "ترجمان"، وعنهم أخذها الإيطاليون ثم الفرنسيون والإنكليز. وإليكم جدولاً بالكلمة في أكثر اللغات الموجودة فيها:

اللغة = الأصل = النطق

الأكادية = "تَرْجُمانُ" = مثله. الواو فوق النون علامة الرفع في الأكادية ـ مثل العربية

الأوغاريتية = رجم = غير معروف. ومعنى الجذر فيها: "الكلام"

العبرية = תרגמן = تُرْجُمانْ

الآرامية القديمة = תרגמנא = تُرْجِمانا (والألف في نهاية الكلمة للتعريف)

السريانية = ܬܪܓܡܢܐ = تَرْجُمونُو (وقد اقلبت ألف التعريف الآرامية واواً في السريانية)

العربية تُرجمان / تُرْجُمان مثله. اليونانية = Δραγουμανος - Dragoymanos . الإيطالية = Dragomano = مثله. الفرنسية = Dragoman / Drogman = مثله. الإنكليزية = Dragoman = مثله

وأول من مارس مهنة الترجمة في التاريخ هم الأكاديون الذين اضطروا إلى ترجمة بعض المصطلحات السومرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون، فترجموها إلى لغتهم الأكادية. ومما حفظ الدهر لنا من أوابد الأكاديين ألواحاً تحتوي على مسارد لغوية باللغتين السومرية والآكادية. وهكذا ترى أن علم صناعة المعجم ولد مع علم الترجمة وظلّ يلازمه حتى اليوم! المترجم نقلا عن: منتديات عتيدة.

(http://www.atida.org/forums/showthread.php?t-183).

عملية الترجمة

توضح العلوم الإدراكية أن العنصر البشري (المترجم) يقوم بدور رئيس في عملية الترجمة، ولكنه لا يتحكم فيها كليا. إن النظر إلى الترجمة باعتبارها نتيجة عمليات نفسية وذهنية معقدة لا ندركها كليا يؤدي إلى إعادة النظر في التمثيل التأويلي للنصوص وفي مكانة المترجم في هذه العمليات. ويتمثل التحدي في ربط النشاط الترجمي بظواهر محددة مثل الإدراك، والفهم أو الحفظ.

لقد ساعدت البحوث المكرسة لدراسة أجناس النصوص وأنماطها على تحديد عدة صيغ ترجمية وفقا لطبيعة النصوص المراد ترجمتها، إلا أن دراسات أخرى وضحت أن وصف الموضوع الترجمي يبقى ناقصا إن لم نأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين النشاط الترجمي والنشاط العقلي والانفعالي للمترجم.

إن العمليات الذهنية المرتبطة بهذا النشاط وحداتيةmodulaires . تعني "وحداتية" هنا أنها قابلة للتحليل إلى أنظمة مختصة (أو وحداتmodules)، لاسيما وفقا للموضوع المراد ترجمته . ويخضع كل نمط ترجمي إلى مبادئ خاصة في تمثيل المعلومات ومعالجتها، فالتأمل في فعل الترجمة يعني وصف هذه "الوحدات" بتحديد ميزاتها المشتركة، وخصوصياتها الفردية، وتفاعلاتها في مختلف السياقات.

تلك إذن هي الرهانات التي تواجه علم الترجمة في بداية القرن الواحد والعشرين. وإن اعتباره عملية الترجمة موضوعه الشامل يجعله يسعى إلى استخلاص مداخل النشاط التواصلي بين اللغات ومخارجه، أي أن علم الترجمة يشغل الحيز الذي يفصل نقطة الانطلاق عن نقطة الوصول (النص المترجم). إنه يحاول تحديد ووصف مجمل العلاقات، والمبادئ، والقواعد والطرق التي تميز كل ترجمة بطريقة فردية ومقارنة، فالمنهجان متكاملان، حتى وإن كان المنهج الأول يضع علم الترجمة إلى جانب العلوم الطبيعية، والمنهج الثاني إلى جانب العلوم الإنسانية.

(٣) تبين الوضع

لقد حاولت في هذا الفصل تحديد موقع علم الترجمة نسبة إلى المجالات العلمية الأخرى. وقد كان من الضروري لأجل ذلك أن أقوم بتأمل إبيستمولوجي عام لمعرفة نمط "العلم" الذي ينبغي تصنيفه فيه. وهكذا، إن نظرنا إلى الترجمة على أنها "نتاج"، فمن المؤكد أنها تقع ضمن العلوم الإنسانية على غرار العلوم اللغوية الأخرى. وإن أخذنا "العملية الترجمية" بعين الاعتبار، أي سياق العملية والنشاط الذهني الذي يصاحبها، فإن الترجمة تقع بالأحرى ضمن العلوم الطبيعية، مثل علم الأعصاب والعلوم الحية الأخرى. باختصار، يبدو علم الترجمة على المستوى الإبيستمولوجي مجالا علميا متعدد الاتجاهات، وبدون موضوع وحيد أو منهج حصري. إنه متداخل المجالات العلمية في جوهره.

بيد أن تأملا أكثر تعمقا في خصوصيته الإبيستمولوجية يوضح أن الأمر يتعلق قبل كل شيء بمجال علمي تجريبي هيمن فيه دائما الجانب التطبيقي على الجانب النظري. ينبغي إذن التفكير في أصنافه وإشكالياته انطلاقا من موضوعات مادية تعرض على المترجم، أي انطلاقا على وجه التحديد من نصوص مترجمة ومواقف مهنية حقيقية. وهكذا، ينطلق تحديد مجال علم الترجمة من الممارسة بهدف تصور المناهج والمعارف المكتسبة.

ولا مجال هنا للجدال حول هيمنة النظرية على الممارسة، أو الممارسة على النظرية، فالممارسة من دون تأمل نقدي ليست سوى انهيار الروح، والنظرية المنفصلة عن الواقع المهني ليست سوى وجهة نظر.

ولا مجال أيضا لإرغام المدافعين عن استقلال علم الترجمة على عودتهم بأي ثمن إلى إطار مجال علمي معين ، مثلما كان الوضع عليه خلال عدة عقود، لاسيما بالنسبة إلى اللسانيات، فهوية علم الترجمة يؤكدها اليوم باحثون وممارسون يعلنون

انتسابهم إليه بصراحة وقوة في كل مكان من العالم تقريبا؛ وهذا كاف للإقرار باستقلاله ونشاطه.

(٤) من أجل التعمق في الموضوع

-حول التنظيم العام لعلم الترجمة:

- Holmes J.(1972), "The name and nature of translation Studies", in Holmes(1988), pp.80-91.

-حول علم الترجمة بعامة:

-Ballard M. (2006), *Qu'est-ce que la traductologie?*, Lille: Artois Presses UniversitÉ
-Bassnett S. (1980/1991), *Translation studies*, London and New York; Routledg.

-حول مختلف المقاربات في علم الترجمة:

-Newmark P. (1982), *Approaches to Translation*, Oxford. Pergamon Press.

-حول علم الترجمة الوصفي

-Toury G. (1995), *Descriptive Translation studies and Beyond* , Amsterdam and Philadephia. John Benjamins.

(٥) اختبر معارفك

أ) إلى أي مدى يمكننا تأكيد أن علم الترجمة "علم"؟

ب) ما هي أسس المنهج العلمي في علم الترجمة؟

ج) ما هي العناصر التي تكون الموضوع الخاص لعلم الترجمة؟

هـ) ما الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المترجم في النظرية وفي الممارسة؟

و) إلى أي مدى يمكن تصور "علم اجتماع ترجمي"؟

ز) ما الذي يهم عالم الترجمة في علم الأعصاب؟